

انفتاح المجلس الأعلى للغة العربية على اللهجات العربية الفصيحة في تدعيم المواد اللغوية وإثراء المعجم العربي

The opening of the Supreme Council of the Arabic language to the classical Arabic dialects Strengthening linguistic materials and enriching the Arabic lexicon

د.بوزيد طبطوب*

جامعة محمد ملين دباغين سطيف 02 الجزائر

Tabtoubbouzid78@gmail.com

تاريخ الإرسال 2021/11/21 تاريخ القبول 2025-08-12 تاريخ النشر 2025-12-17

ملخص:

تروم هذه الدراسة الكشف عن أهمية اللهجات العربية في إثراء المعجم العربي، لأن اللهجات العربية الفصيحة خزان تشرب منه العربية، وميدان رحب للتنوع اللهجي والتعايش بين الأفراد واللغات في البيئة الواحدة، والتنوع الجميل الذي تلقفه علماء العربية الأقدمون في وضع المعاجم القديمة. وقد خطى المجلس الأعلى للغة العربية خطوات كبيرة في ميدان حوسبة اللغة العربية، وإدخال التقنيات الحديثة في صناعة المعاجم الإلكترونية، المعتمدة على التطبيقات اللغوية لبعض اللهجات لسد بعض الثغرات المعجمية. الكلمات المتاحة: المجلس الأعلى للغة العربية، المعجم، اللغة، اللهجة، حوسبة.

Abstract:

This study aims to reveal the importance of Arabic dialects in enriching the Arabic lexicon, because the classical Arabic dialects are a reservoir from which Arabic drinks, and a vast field of dialect diversity and coexistence between individuals and languages in the same environment, and the beautiful diversity that the ancient Arab scholars grasped in the development of ancient dictionaries.

The Supreme Council of the Arabic Language has made great strides in the field of computing the Arabic language, and the introduction of modern technologies in the manufacture of electronic dictionaries, which depend on the linguistic applications of some dialects to fill some lexical gaps.

Keywords: The Supreme Council for the Arabic Language, lexicon, language, dialect, computing

1. مقدمة:

اللغة العربية لغة أدب وفن كما هي لغة حضارة وعلم، استطاعت أن تحافظ على كيانها كل هذه الأزمنة الطويلة؛ لأنها تحمل في يمتها الثبات على البنية اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، وتحمل في شمالها التغير الذي يكمن في انفتاحها على اللهجات العربية المختلفة، واستثمار ذلك في صناعة المعجم العربي القديم والحديث، وجعلت هذه الاختلافات سلاحا حادا في وجه قانون التشتت والانحطاط الذي خضعت له كل اللغات العالمية. وإنّ نزول القرآن الكريم بلغات (لهجات) العرب المتعددة أدى إلى حفظه لأصوات العربية، وثبات بنيتها الصرفية الاشتقاقية، واستعصامها بقانونها النحوي العظيم الذي به يتفنن المتكلم في أساليب العرب البارة، لذلك نحن نشد على يد المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر في صناعات للمعاجم المتخصصة، وقدرته الفائقة في توليد المصطلحات العربية

2. تعريف اللغة:

أصلها لُغِيّ أو لُغَوٌ، والهاء عوض - عن الياء أو الواو- وتجمع لُغِيّ مثل بُرّة وُبُرّى، ولغات أيضا. أما النسبة إليها فهي لُغَوِيّ ولا يقال لُغَوِيّⁱ.

"وهي الكلام المصطلح عليه بين كل قبيلة"ⁱⁱ، و(اللّسن)ⁱⁱⁱ.

لقد اختلفت عبارات العلماء قديما وحديثا في بيان حقيقة اللغة وحدّها، فقليل إنّا:

* أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم.^{iv} (ابن جني)

- فهي الرموز الصوتية المنطوقة دون المكتوبة.

- وسيلة تعبير، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وحاجياتهم، لكون الإنسان اجتماعيا بطبعه.

- تعبر عن الأغراض، والأغراض اسم جامع لكل وظائف اللغة.

* عبارة عما يتواضع القوم عليه من الكلام.^v (ابن سنان الخفاجي)

- رجح ابن سنان كون اللغة اصطلاح.

- كونها كلامية تتحقق بالفعل اللساني.

- اجتماعية، تتأتى بفعل الأقوام لها.

* كل لفظ وضع لمعنى.^{vi} (محمود الأصفهاني)

- اللغة لفظ ومعنى.

- فاللغة تتكون من الألفاظ ذات المعاني التي تتبادل، فيفهم كل صاحبه ما أراد بها حين نطقها.

إن اللغة ظاهرة إنسانية ذات طابع اجتماعي ملازمة للفرد، وقد نشأت بنشوءه، ونمت بنموه الحضاري، وهي منزل الكائن البشري ومرآة فكره.

وعرّفها أحمد مختار عمر: «معنى موضوع في صوت»^{vii}

جوهر اللغة أصواتها، وهي تلك الرموز الملفوظة لا المكتوبة، وهذه الأصوات المنتظمة تعاقبها تحمل معنى، وهي اجتماعية، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، هدفها التواصل بين أفراد المجتمع؛ لأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، ونبه إلى الخصائص العامة التي تشترك فيها كل اللغات وهي: 1- كلها أصوات. 2- لكل لغة نظام خاص بها بل هي نظام من الأنظمة، أي نظام صوتي، صرفي، نحوي، معجمي. 3- اللغات كلها اعتباطية، وهو سبب اختلافها، فلو كانت العلاقة بين الدال والمدلول معللة، لكانت لغة واحدة. 4- اللغات كلها متشابهة ومختلفة في آن واحد؛ متشابهة في الخصائص العامة مختلفة في اعتباطية العلامة. واختلاف اللغات آية من آيات الله جلا وعلا، قال تعالى: {ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين} [الروم: 22].

3. تعريف اللهجة:

1.3 اللهجة لغة:

اللهجة لغة: «اللَّهْجَةُ وَاللَّهْجَةُ: طَرْفُ اللِّسَانِ أَوْ اللِّسَانُ، أَوْ اللُّغَةُ أَوْ طَرِيقُ أَدَاءِ اللُّغَةِ، أَوْ النُّطْقُ، أَوْ جَرَسُ الْكَلَامِ وَنَغْمَتُهُ أَوْ اللِّسَانُ» [ينظر: ابن منظور، لسان العرب مادة (ل. ه. ج). (359/2)] وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا أَظَلَّتِ الْخُضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْعَبْرَاءُ أَوْ قَالَ الْبَطْحَاءُ مِنْ ذِي هَجَّةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ» [القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (36/1)].

2.3 اللهجة اصطلاحاً:

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث: «هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما يدور بينهم من حديث فهمًا يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات»^(viii)، مما سبق يتضح لنا أن اللهجة هي الخصائص أو الصفات التي يتميز بها أهل بيئة ما في طريقة أداء اللغة ونطقها، واللغة تتشعب منها لهجات مختلفة، لها نظام واحد يحكمها.

واللهجات تختلف في الجوانب الصوتية والدلالية، وبدرجة أقل الجوانب الصرفية والنحوية؛ لأنّ للصرف والنحو قوانين ثابتة بخلاف الجانب الصوتي الذي يخضع للأداء، وأما الجانب الدلالي فالمعاني مختزنة في العقل، ولا تخضع في الغالب لقانون، واللهجات العربية تختلف غالباً في الجانب الصوتي، مثل نطق الهمزة، أو الألف، أو الجيم، أو الذال، أو تفخيم صوت أو ترقيقه، أو اختلاف في مواضع النبر. قال الأصمعي: «اختلف رجلان فقال أحدهما: (الصقر)، وقال الآخر: (السقر)، فتراضيا بأول وارد يرد عليهما، فإذا رجل قد أقبل، فسألاه. فقال: ليس كما قلت أنت، ولا (كما قلت أنت)، إنما هو الزقر»^(ix).

4. عوامل نشأة اللغات:

وتنشأ اللهجات العربية نتيجة لانعزال بعض القبائل وتمسكها بعاداتها وتقاليدها، وهناك سبب آخر هو الصراع اللغوي نتيجة الاحتكاك إما باللهجات أو الغزو، وهذا الاحتكاك يؤدي إلى تداخل اللغات وتأثيرها في بعضها البعض، قال إبراهيم أنيس: «هناك عاملان رئيسيان يعزى إليهما تكوّن اللهجات في العالم هما:

أ/- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد.

ب/- الصراع اللغوي نتيجة غزو، أو هجرات.

وقد شهد التاريخ نشوء عدة لهجات مستقلة كلغة واحدة. نتيجة أحد هذين العاملين، أو كليهما معاً. فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية، أو اجتماعية، نستطيع أن نحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة»^(x)، واللغة التي تتسع وتفصل بين أراضيها عوامل جغرافية واجتماعية نستطيع أن نتصور إمكانية تشعبها إلى عدة لهجات نتيجة قلة الاحتكاك، خاصة إذا طال هذا الانعزال قرناً أو قرنين؛ لأنّ اللغات في تطور دائم. ومثال ذلك ما حدث للغة العربية في شبه الجزيرة العربية، فاللغة العربية يتكلم بها في أرض شاسعة، صحراوية فيها الكثير من الجبال والحرار^(xi) التي تقف حائلاً دون احتكاكهم، وقد ذكر الجغرافيون سبب تسمية الحجاز؛ لأنه يحجز اليمن عن الشام، أضف إلى ذلك كثرة أسفارهم وترحالهم طلباً للماء والمرعى والمسكن الآمن. وليست العوامل الجغرافية وحدها هي سبب نشوء اللهجات وتطورها، فهناك عوامل اجتماعية أخرى مثل بعض المهن التي تشتهر بها بعض القبائل، فأبناء هذه البيئة لهم ظروف اجتماعية تفرض عليهم الحديث عن ما يشغلهم، فيؤدي ذلك إلى اختلاف اللهجات، و«خير مثل يمكن أن يضرب لهذا الانعزال الذي يشعب اللغة الواحدة إلى لهجات، تلك اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب قبل الإسلام، وأحدث الأمثلة لهذا الانعزال ما حدث للإسبانية والإنجليزية حين انتشر كلاهما في بقاع بعيدة، الأولى في أمريكا الجنوبية، والثانية في أمريكا الشمالية، وبدأنا نلاحظ فروقا صوتية بين إسبانية أوروبا وإسبانية أمريكا، وإنجليزية أوروبا وإنجليزية أمريكا»^(xii).

أما العامل الثاني عامل الاختلاط أو الاحتكاك، فهو ضرورة تاريخية لاستحالة انقطاع شعب أو قبيلة عن أي احتكاك خارجي لمدة طويلة جداً. والاختلاط بين لغتين أو لهجتين، لا يكون دائماً على وتيرة واحدة، لأنّ اللغات تختلف في القوة والضعف، منها من تصمد عند الاحتكاك وتُظهر قدرًا كبيرًا من المقاومة، وذلك لأسباب متعددة نذكر منها، تطور أهلها؛ وحرصهم عليها كأن تكون لغة دين يتعبدون بها، أو ربما تكون بعض الخصائص في اللغة نفسها.

وقد تكون عوامل سياسية مثل خضوعهم لسلطة واحدة، أو اعتناقهم لدين جديد، سيساعد على دخول ألفاظ واصطلاحات جديدة، وقد يرجع السبب إلى اللغة نفسها التي تحمل قوة الثبات بين جنباتها مثل اللغة العربية التي لها منظومة صوتية رائعة، أصواتها موزعة توزيعاً عادلاً على المدرج الصوتي، وهي لغة أوزان فأوزانها معلومة معدودة، بالإضافة إلى أنها لغة معربة الكلمة فيها حرة تقدم أو تؤخر؛ لأن الإعراب هو الذي يحدد وظيفة الكلمة في الجملة، وتحمل أيضاً قوة التطور لأنّها لغة اشتقاقية.

5. مراحل الصراع بين اللهجات:

وللصراع اللغوي بين اللغات أو اللهجات مراحل منها: غزو ألفاظ اللغة القوية، لتحل محل اللغة المقهورة تدريجياً، طبعاً لقوة اللغة أو لضعفها وربما انتصرت وطغت عليها، كما طغت لهجة قريش في جزيرة العرب، وكما صنعت اللغة العربية لما غزت اللغات القبطية والبربرية، فلم تترك لها شيئاً إلا بعض المفردات.

أما إذا كانت اللغتان متكافئتين فإن الصراع سيطول، وإذا قُدر لواحدة منهما أن تنتصر، فستخرج من هذا الصراع منهكة قد احتفظت بمفردات كثيرة من اللغة المنهزمة، قد تصل إلى خمسين بالمئة.

وأما المرحلة الثانية، فهي تغير مخارج الحروف، ويقترب النطق بها من النطق بأصوات اللغة الجديدة، حتى تُطابق اللغة المنتصرة أو تقترب منها؛ لأن المغلوب مولع بمحاكاة الغالب في كل شيء حتى في نطق الأصوات، وتعد هذه المرحلة من أخطر مراحل الاحتكاك والصراع؛ لأنها تقترب من اللغة الغالبة وتزداد بعداً عن اللغة الأصلية، فإذا ذهب جيل وجاء جيل آخر نجد الأمر يزداد سوءاً.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الذوبان، حيث تفرض اللغة المنتصرة قوانينها الصوتية والصرفية والنحوية، وتبدأ في إحلال المعاني المجازية والاستعارات، محل اللغة المغلوبة، التي قد أشرفت على الموت، ولكن اللغة المنتصرة لا يكتب لها النصر إلا بعد أجيال متعددة وأزمة طويلة، وقد لا يكتب لها النصر أبداً إذا كانت اللغتان تعودان إلى أصل لغوي واحد أو هما شقيقتان.

«متى اجتمعت لغتان في صعيد واحد، فإنه لا مفر إطلاقاً من أن تتأثر كل منهما بالأخرى، سواء في ذلك تغلبت إحداها على الأخرى، أم بقيت كل واحدة منهما بجوار أختها»

فعندما تغلب لغة لغة أخرى، فاللغة الغالبة تجعل من كل ما تأخذه غنيمة حرب وتجعله من عناصرها فتزداد قوة ونشاطاً وتجددًا، دون أن يؤثر في بنيتها الأساسية، أما اللغة المغلوبة، فهي لا تستطيع أن تصمد أمام إغارة اللغة المنتصرة، وما تفقدتها به من ألفاظ، وقواعد وقوانين، وأخيلة وأساليب، فتضعف ويدب فيها الوهن إلى أن تموت، كما فعلت العربية باللغات الكنعانية والآكادية، والنبطية، والآرامية التي كانت متاخمة للغة العربية من الناحية الشمالية في العراق والشام.

أما إذا كتب للغتين البقاء، فإن كل لغة تحاول استثمار ما أخذته من اللغة الأخرى في صراعها الطويل، مع اللغة الأخرى، وتضيفه إلى مكوناتها وقواعدها وأساليبها، وتتخلى عن الآثار الضارة سواءً أكانت هذه الآثار صوتية أم صرفية أم نحوية أم معجمية، أم أخيلة وأساليب، وكل ما ينطبق على اللغات ينطبق على اللهجات.

5. الفرق بين اللغة والمهجة:

استخدم القدماء مصطلح (اللسان واللغة) فاللسان يقصدون به ما نقصد نحن اليوم باللغة، فيقولون لسان عربي، لسان فارسي، لسان رومي، لسان حبشي، وأما اللغة فيقصدون بها ما نقصد نحن اليوم باللهجة، فيقولون لغة قريش، لغة تميم، لغة هوازن، لغة بكر، لغة قيس.

عند القدماء	عند المحدثين
لسان	← لغة
لغة (لحن)	← لهجة

وُثِّلَ عنهم لفظة (لحن) أيضاً، فإذا سمع العربي كلمات غير مألوفة قال: «ليس هذا لحي، ولا لحن قومي» أي ليست هذه الكلمات من لغتي، ولا لغة قومي؛ لأن عدد لغات العرب كثير. وقد تجتمع في الرجل أكثر من لغة، فقد أفرد ابن جني باباً سماه: (باب في الفصحح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً) (xiii).

وذكر عدة أمثلة منها قول لبيد بن أبي ربيعة العامري:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى مُمَيَّرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هَلَالِ

فقد وردت في هذا البيت لغتان (سقى) و(أسقى).

ووردت لغتان في كلمة (وفى) و(أوفى).

قال طفيل الغنوي:

أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النَّجْمِ حَادِيهَا

والناس تختلف أحوالها في تلقي اللغات، فمنهم من يخف ويسرع، ومنهم من يستعصم ويتمسك بلغته ولا يجيد عنها، بسبب حبه لها وإيثاره إياها، أو لصعوبة تحول لسانه إلى لغة غيرها، ومن ذلك ما رواه أبو حاتم قال: «قرأ عليّ أعرابي بالحرم: (طِيبِي لَهُمْ وَحَسَنَ مَا بَ)، فقلت: {طُوبَى} [الرعد: 29]، فقال طِيبِي، فقلت: طُوبَى، فقال: طِيبِي، فلما طال عليّ قلت: طُوطُو، فقال: طِي طِي، أفلا ترى استعصام هذا الأعرابي بلغته وتركه متابعة أبي حاتم» (xiv)، وواضح من هذه القصة أن الأعرابي امتنع عن نطق لغة غيره تعصبا. فلو أراد ذلك لاستطاع ودليل ذلك أن أبا حاتم طلب منه قول طُو فقول طُو فقول طِي طِي.

جاورت العربية عدة لغات منها ما هو من فصيلها السامي، ومنها ما هو من الفصيل الحامي ومنها ما هو من اللغات التي يطلق عليها اسم الهندوأوروبية، فقد جاورت الفارسية من الشرق، والسريانية والرومية والنبطية من الشمال، واحتكت بالعبرية والقبطية من الغرب، وخالطت الحبشية واليمنية القديمة من الجنوب، «فالكلمات العربية

الدالة على مظاهر الحياة الحضريّة، وما إليها من الأمور التي لم تكن مألوفة في البيئة العربية الأولى، ومعظم الكلمات المتعلقة بمنتجات الصناعة، وشؤون التفكير الفلسفي انتقلت إلى العربية من الآرامية، وصراع العربية مع الفارسية أثر في كلتا اللغتين في كثير من المفردات والتراكيب بل في الأساليب والأخيلة»^(xv). واللغات تتطور وتنقسم نتيجة عاملي الانعزال أو الاختلاط.

6. أنواع الاختلافات اللهجية:

الاختلافات الواقعة بين لغات (لهجات) العرب تشمل بعض الأصوات والكلمات والتراكيب، فمن الاختلافات الصوتية:

الاختلاف في نطق بعض الأصوات:

كلمة الصراط: هي لغة قريش، والسرط: لغة عامة العرب غير قريش، والزراط بإشمام الصاد زايا: لغة قيس، وكلها قراءات قرآنية متواترة سبعية.

الاختلافات الصرفية:

صيغة فعل الأمر:

يقول بنو تميم: شُدَّ، وضنَّ، واستعدَّ، وفرَّ، واطمئنَّ يا غلام بينما يقول أهل الحجاز: اشدَّد، واضنن، واستعدد، وافرر، واطمأنن.

وهناك لغتان في (استطاع) و(اسطاع)، قال تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف: 97].

وقد يكون الاختلاف في الحركات، مثل: نَسْتَعِينُ ونَسْتَعِينُ بفتح النون وكسرها، فالفتح لغة قريش وأسد، والكسر لغة تميم وعامة العرب، وهي تكسر في الفعل المضارع، وهذه حركة بناء لا حركة إعراب، ومنها أذكر وأذكر. وقد يكون الاختلاف لهجيا أي الكلمة:

يقول النجديون وقيم: حَصَادُه، ويقول عامة العرب: حِصَادُه.

قَرَحَ: لغة عامة العرب، قُرَحَ: لغة تميم.

فَصْرَهْنَ بكسر الصاد: لغة هذيل وسليم، فَصْرَهْنَ: لغة باقي العرب.

وقد يكون الاختلاف معجميا: مثل: نشر ونشر.

وقد يكون الاختلاف في بنية الكلمة، إذا كانت الكلمة ثلاثية وعينها أحد حروف الحلق، فبعض العرب تفتحها، نحو: المَعَزَ المَعَزَ، دَأْبًا دَأْبًا، ظَعْنُكُمْ ظَعْنُكُمْ، البَحْلُ البَحْلُ.

وقد يكون الخلاف في الهمز والتسهيل نحو: هَزَوًا (تميم)، وهزؤًا، تؤصده (تميم)، توصده.

وقد يكون الخلاف الفتح والإمالة، قضى، رمى، الضحى، فقريش تفتح وتفخم، أما ربعة فهي تقرأ بالإمالة. وقد يكون الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو: يأمركم، يأمركم. وقد يكون الاختلاف في التخفيف والإشباع نحو: عليهم عليهمو.

ما ذكرناه آنفا من اختلافات هي اختلافات يسيرة بين القبائل العربية العدنانية التي تقع شمال الجزيرة العربية. أما الاختلافات بين اللغة العدنانية واللغة الحميرية فهو كبير البون شاسع، فقد قال أبو عمرو بن العلاء: «ما لغتهم بلغتنا ولا لسانهم بلساننا» وذلك للاختلاف الواضح بين لغة عرب اليمن (الحميريين) ولغة العدنانيين.

«وروي أن زيد بن عبد الله بن دارم، وفد على بعض ملوك حمير، فألفاه في مُتَصَيِّدَ لَهُ عَلَى جبل مشرف، فسلم عَلَيْهِ، وانتسب له، فقال لَهُ الملك (ثب)، أي اجلس، وظن الرجل أنه أمر بالوثوب من الجبل فقال: (ستجديني أَيْهَا الملك مطوَّاعًا)، ثُمَّ وثب من الجبل فهلك، فقال: الملك: مَا شَأْنُهُ؟ فخبَّروه بقصته وغلطه فِي الكلمة، فقال: (أما أنه ليست عندنا عربية: من دخل ظفار حَمَرٍ)، أي فليتعلم الحميرية»^(xvi)، ورويت القصة بطرق مختلفة. وما حكاه الأصمعي عن أبي عمر: «وقال: سمعت رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟! قال: نعم، أليس بصحيفة»^(xvii)، وما يهمنا في هذه القصة التي حكاه الأصمعي، هو اختلاف اللغة بين اليمنيين وعرب الشمال، أما جواز القياس فهي مسألة أخرى ليست من صلب هذا البحث، قال ابن جني: «فلسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة بني نزار»^(xviii).

وجميع لغات العرب صحيحة محتج بها في اللسان العربي، وهي تتقلب بين الفصيحة والفصحى، ولا يحق لأحد كائناً من كان أن يخطئ عربياً، قد يقال له قد خالفت الأفصح والأولى، ولكن لا يقال له أخطأت، فكل منهما يحتمل جزء من الصواب، ويتوجه إليه اعتراض.

7. التقارب بين الساميات:

وسام أحد أبناء نوح - عليه السلام - وهو أبو العرب. وهذا الذي حدث للعربية وهو نفسه الذي حدث للغة السامية، قال ابن حزم: «إن الذي وقفنا عليه، وعلمناه يقينا أن السريانية، والعبرانية، والعربية والتي هي لغة مضر وربعة لا لغة حمير، واحدة تبدلت بتبدل بمساكن أهلها... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل»^(xix).

بل قد أشار ابن تيمية إلى الصلات القوية والعلاقات اللغوية بين العربية والعبرية قال: «والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر، وقد سمعت ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب، فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتى صرت أفهم كثيراً من كلامهم العبري بمجرد معرفة العربية»^(xx).

فعيناك عيناها وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق

وروي:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها سوى أن عظم الساق منش دقيق

3.7. القراءات القرآنية نقلت لنا جانبا مهما من اللهجات، لكن المتمعن فيها يجدها بأنها اختلافات صغيرة لا تكاد تذكر، غالبيتها اختلافات صوتية (أدائية نطقية) مثل إمالة صوت، أو إدغامه، أو إثمائه أو رومه، واو اختلاسه، أو إشباعه أو تسهيله، وهذه الاختلافات أو التنوعات أو كما يسميها المحدثون (ألفونات) هي تلونات صوتية لا تؤدي إلى اختلاف المعنى، وقد يكون الاختلاف دلاليا بين قبيلة وأخرى، أو اختلاف صرفي أو نحوي، وكلها لا ترقى إلى مرتبة الاختلاف الكبير ولا تبلغ إلى درجة الزعم بأن القبيلة الأخرى لا تفهمها.

8. فوائد دراسة اللهجات:

- اللهجة ظاهرة لغوية موجودة في كل اللغات، كما أسلفنا، لأن اللغات تميل إلى الانشطار والانقسام، ودراسة اللهجات تمكننا من التعرف على تطور اللغة، ومراحل هذا التطور بالنسبة للأصوات أو المفردات أو التراكيب أو الدلالة.
- تفيدنا دراسة اللهجات في تفسير بعض القضايا العربية مثل: ظاهرة الترادف والمشارك اللفظي، والتضاد، والإبدال، وغيرها من القضايا التي نرجع جزءا منها إلى الاختلافات اللهجية.
- تفيدنا في تفسير وتخرج كثير من القراءات القرآنية وتفسيرها، لأن الكثير من الاختلافات يعود إلى اختلافات لهجية، والقراءات القرآنية هي مصدر أصيل من مصادر دراسة اللهجات، ومرآة صادقة تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدا زمن نزول الوحي، ودراسة اللهجات ليس دعوة إلى العاميات، بل لها مسوغاتها، لأنها تفيد الفصحى في معرفة مراحل وأسباب وقوانين تطورها، وما هي العوامل التي تسهم في التوحد والانقسام. واللهجات تزودنا بصورة صادقة وحية عن الواقع، بخلاف اللغة المكتوبة التي تفتقر إلى الجانب الحي في اللغة وهو المستوى الصوتي، و«دراسة اللهجات ضرب من ضروب المعرفة الصحيحة لفهم دقائق اللغة وبيان أسرارها، وإذا كان علماء الاجتماع وغيرهم، استفادوا من دراستهم للهجات في معرفة سلوك الجماعات اللغوية، فإن من باب أولى أن يهتم بدراسة اللهجات دارس العربية وخاصة المهتم بها؛ لأن دراستها في حقيقة

الأمر تعني معرفة تاريخها اللغوي، وانتقاله من طبقة إلى طبقة، باختلاف لهجات القبائل إنما هي درجات في سلم التطور والارتقاء»^(xxiii).

ولقد أدرك علماءنا الأوائل المشكلات التي تحدث نتيجة الجوار اللغوي، وحتمية التأثير والتأثر، لذلك نجد علماء اللغة والنحو في تقعيدهم للقواعد أخذوا عن القبائل المنقطعة في الصحراء، وتركوا الأخذ عن القبائل التي كانت التي كانت متاخمة للأعاجم. قال الفارابي^(xxiv):

- فلا يؤخذ من لحم، ولا جذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقبط.
- ولا من قضاعة ولا من غسان، ولا من إياد؛ لمجاورتهم أهل الشام.
- ولا من تغلب، ولا النمر؛ لمجاورتهم اليونانية.
- ولا من بكر، لأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين للنبط والفرس.
- ولا من عبد القيس؛ لأنهم كان سكان البحرين محالطين للهند والفرس.
- ولا من أزد عُمان؛ لمخالطتهم الهند والفرس.
- ولا من أهل اليمن؛ لمخالطتهم الهند والحبشة.
- ولا من بني حنيفة، وسكان اليمامة، ولا من ثقيف، وسكان الطائف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم.
- ولا من حاضرة الحجاز؛ لمخالطتهم عند نقل اللغة غيرهم من الأمم ففسدت ألسنتهم.

وقال ابن خلدون: «وأما من بعد عنهم - أي قريش - من ربيعة ولخم، وجذام، وغسان، وإياد، وقضاعة، وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس، والروم، والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطتهم الأعاجم»^(xxv).

ولا شك أن الاحتكاك اللغوي قد أثر في اللغة العربية بشكل من الأشكال، وفي لهجاتها المختلفة، ويقع التأثير في المعجم والدلالة ثم الأصوات وأخيرا النحو، فنتيجة قوانين النحو الصارمة يبقى هذا المستوى صامداً في وجه الحملات، وفي الأخير يستسلم نتيجة استسلام المستويات الأخرى، وبعد ذلك تتغير اللغة تماماً، ويستعير متكلموها من اللغات الأخرى أخطر شيء وهو الأخيلا والاستعارات وطريقة التفكير؛ لأن اختلاف لغتين هو اختلاف عالين.

9. دور الترادف في إثراء اللغة:

1.9. الترادف: هو أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد حيناً آخر، كما تكافؤا حين آخر، وأطلقوا عليه كذلك عبارة: "ما اختلف لفظه واتفقت معانيه" والترادف ضد المشترك.

ومن أمثلة ذلك: السيف: فهو السيف والمهند والحسام والرمح والخطي والسمهري واليزني والرديني والأسمر والعاسل والمُدْعَس والمثْقَب والقناة...

2.9. الخلاف في وقوعه:

ذهب بعض الناس إلى إثبات وقوع الترادف في العربية، وذهب آخرون إلى إنكاره. ومن أنكر وقوعه في العربية: أحمد بن فارس، وشيخه الإمام ثعلب، وأبو علي الفارسي. قال ابن فارس: (باب الأسماء المختلفة وكيف تقع على المسميات) "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة؛ نحو: السيف والمهتد والحسام، والذي نقوله في هذا: إنّ الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أنّ كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى." وقال آخرون: إنّ الترادف واقع، وله فوائد، وهو قول كثير ممن ألف في هذا الباب كابن خالويه، والفيروزآبادي، وغيرهم.

وقال السيوطي: "ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال نحو: مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع؛ قالوا ففي قعد معنى ليس في جلس، وكذلك القول فيما سواه، وبهذا نقول؛ وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب" (xxvi) ودليلهم في ذلك أنّ اللغويين الأوائل صنفوا كتباً في أسماء الأسد وأسماء الحية وغيرها.

والحاصل كما قال عز الدين بن جماعة: "أنّ من جعلها مترادفة ينظر إلى اتحاد دلالتها على الذات، ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبه المترادف في الذات، والمتباينة في الصفات." (xxvii) فإذا قلنا - على سبيل المثال - : إنّ الله هو السميع العليم البصير الخالق البارئ المصور؛ فهذه الأسماء مترادفة باعتبار دلالتها على ذات واحدة ومسمى واحد وهو الله عز وجل باعتبار أنّ في السميع معنى غير المعنى الذي في البصير وهكذا... وكذلك أسماء الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ الحاشر والعاقب وغيرها، فهي مترادفة باعتبار أنّها دلت على مسمى واحد وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم).

3.9. أسباب وقوعه:

وهذا مبني على نظرية أن اللغات اصطلاحية.

1- أن يكون من واضعين - وهو الأكثر -؛

* وسببه تعدد اللهجات العربية ذات الأصل الواحد. فلو كانت من واضع واحد لأدى ذلك إلى اللبس، ولأصبح ما وضع لإزالة الإبهام سبباً في اللبس والإبهام. وهذا ما وقف عليه رواية اللغة أثناء جمعها وتدوينها، لذلك نجد في المعاجم العربية اللفظ المستعمل واللفظ المهجور؛ فإن دلّ على شيء فإنما يدل على أنه كان لهجة لقبيلة خاصة انقرضت أو غلبتها لهجة أقوى منها.

* أن يشتهر الوصفان ويخفي الواضعان أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر.

2- أن يكون من واضع واحد وهو الأقل.

4.9. فوائد المترادف:

- تكثير الوسائل إلى الإخبار عما في النفس؛ لأنّ تنوع الأسماء يتيح للمتكلم الاختيار، وخير مثال على ذلك واصل ابن عطاء شيخ المعتزلة فقد كان ألثغا لا يستطيع نطق الراء نطقا صحيحا، فأسقط صوت الراء من كلامه، فقد دُفعت إليه رقعة وهو فوق المنبر مضمونها: "أمر أمير المؤمنين الكرام أن تُحفر بئرٌ على قارعة الطريق فيشرب منها الصادر والوارد". فقرأ على الفور: "حكم حاكم الحكام الفخام، أن ينبش جب على جادة الممشى فيسقى منه الصادي والغازي".
- المروحة في الأسلوب، والتفنن في الكلام، وطرد الملل والسآمة عن السامع.
- قد يكون أحد المترادفين أجلى وأظهر من الآخر، أو أنّ أصواته وجرس حروفه يحمل دلالة أقرب من الآخر.

10. المشترك اللفظي وإزالة اللبس:

1.10. تعريفه: وهو أن يكون للكلمة الواحدة عدة معانٍ تطلق على كل منها على طريق الحقيقة لا المجاز، وذلك كلفظ "الحال" الذي يطلق على أخ الأم، وعلى الشامة في الوجه، وعلى السحاب، وعلى البعير الضخم، وعلى الأكمة الصغيرة.

تعريفه لغة: اشترك يشترك، والمصدر اشتراك، والمشارك اسم مفعول.

اصطلاحاً: حدّه أهل الأصول: (بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة) (xxviii)

ويقول ابن فارس: " تُسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد؛ نحو: (عين الماء) و(عين المال)، و(عين السحاب) (xxix).

وعين الرجل: ذاته، والعين: العين الجارية ، والعين: العين الجارحة، والعين الجاسوس، وعين الميزان، وعين الشيء ذاته.

الاشتراك: هو أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر. وهو في العربية ظاهرة لغوية لا تنكر، وإن كان هناك من أنكرها من قدامى اللغويين، ويطلق الاشتراك اللفظي عند القدماء، أحيانا بعبارة (ما اتفق لفظه واختلف معناه).

2.10. رأي العلماء حول المشترك:

1.2.10. المثبتون للمشارك: من الذين أقروا وجود المشترك وعملوا على توضيحه أكثر الرعيل الأول من اللغويين، وعلى رأس أولئك: الخليل وسيبويه وأبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد الأنصاري وابن فارس والأخفش الأوسط والثعالبي والمبرد والسيوطي وغيرهم، فقد أثبتوه وتوسعوا فيه مستندين إلى الشواهد العربية الكثيرة التي لا سبيل إلى الشك فيها،

ومنهم من أفرد له مؤلفات كاملة لسرد المشترك. ومن العلماء من أوجب وقوعه؛ "لأنّ المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية، ف إذا وُزع لزم الاشتراك. وذهب بعضهم إلى أنّ الاشتراك أغلب". (xxx)

2.2.10. المنكرون للمشارك: وأغلبهم من الرعيل اللاحق، فأبو علي الفارسي أنكر أن يكون الاشتراك مقصودا

في أصل الوضع، وإنما سببه تداخل اللغات، أو الاستعارة التي تشيع فتصير بمنزلة المعنى الأول. أما ابن درستويه فقد أنكر الاشتراك لما فيه من عدم الإبانة، وعلل مجيء النادر منه باللغات، أو بحذف واختصار وقع في الكلام، فقال: "فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعل" ثم يذكر هذه العلل ويقول: "وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار في الكلام، حتى اشتبه اللفظان، وخفي ذلك على السامع، وتأول فيه الخطأ" (xxxi)

3.2.10. المتوسطون: وهناك من وقف موقفا وسطا، لم يغال في إنكار المشارك، ولم يبالغ في الإقرار به، منهم

أبو علي الفارسي

ويرى أنّ ذلك نتيجة تداخل اللغات المختلفة.

قال: "اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصدا. في الوضع ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، وأن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل". (xxxii)

1- ويقول أبو الطيب (xxxiii): للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظا ويختلف معناها.

يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذ رَحَلَ الجيران عند العُروب

اتبعتهم طرقي وقد أزمعوا ودمع عيني كفيض العُروب

كانوا وفيهم طفلة حرة تفتّر عن مثل أقاحي العُروب

فالغروب الأول: غروب الشمس، والثاني: جمع غروب، وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث: جمع الوهاد المنخفضة.

11. خاتمة:

- تستطيع اللهجات العربية القديمة أن تقدم خدمات عظيمة للعربية المعاصرة، وذلك بالإسهام في صك المصطلحات على غرار ما قام به اللغويون والمعجميون الأقدمون.

- العربية القديمة أخذت من جميع اللهجات وأثرت معجمها، ولم تقتصر على القبائل الأفصح فقط بل أخذت من الفصيحة أيضا، وكونت ذلك المعجم العظيم الذي نفاخر به الأمم اليوم.

- ينبغي إحياء الكلمات المهجورة وبعث روح الحياة فيها، ومحاولة إيجاد البديل للمصطلح الغربي الحديث المبتكر.

- الاستعانة بآليات الترادف والمشارك اللفظي في إثراء المعجم العربي الحديث بشرط أن يكون هناك تناسب بين اللفظ والمعنى.

- الاعتماد على النحت في وضع ألفاظ للمخترعات الحديثة، ومواكبة التطور الحاصل في شتى مجالات الحياة.

12. الهوامش:

1. - الرازي، مختار الصحاح، ص: 291، مادة: (لغا)
2. - الزبيدي، تاج العروس، (154/20)، مادة: (لغا)
3. - ابن منظور، لسان العرب، (251/15)، مادة: (لغو)
4. - ابن جني، الخصائص، (33/1)
5. - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص: 43.
6. - الأصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، (105/1)
7. - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 1982، ص 05
8. - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، 2010، ص 15.
9. - ابن جني، الخصائص (217/3).
10. - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 20.
11. - الحرار: جمع حرة، وهي حجارة سود يحيط بها.
12. - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 21.
13. - ابن جني، الخصائص (315/1).
14. - ابن جني، الخصائص (326/1).
15. - عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 130.
16. - ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، ص 28.
17. - ابن جني، الخصائص، (220/1).
18. - ابن جني، الخصائص (329/1).
19. - ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، ت: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان (33-32/1).
20. - ابن تيمية، أبو العباس عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1995. (110/4).
21. - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 41.
22. - الكشكشة: إبدال كاف الخطاب في المؤنث شِينًا في حالة الرفع، وهو الأشهر، وبعضهم شِينًا في حالة النصب.
23. - الكسكسة: إبدال كاف الخطاب سِينًا، أو زياد سين على كاف المخاطبة.
24. - الوكم: كسر كاف الخطاب في الجمع ما كان قبلها ياء أو كسرة عليهم بكم.
25. - عبد التواب موسى حسن الأكرت، ميزان الذهب في معرفة لهجات العرب، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2010، ص 17.
26. - السيوطي، الاقتراح، ص ص 56-57.
27. - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت: خليل شحادة، ط1، دار الفكر، بيروت، 1988. (765/1).
28. - السيوطي، المزهرة، (317/1).
29. - السيوطي، المزهرة، (405/1).

30. - السيوطي، المزهري (292/1)
31. - ابن فارس، الصاحبي، ص: 59.
32. - السيوطي، المزهري (38/1).
33. - السيوطي، المزهري (303/1).
34. - ابن سيده، المخصص (295/13).
35. - السيوطي، المزهري (298-297/1).

13. قائمة المراجع:

- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، القاهرة، 2010.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 1982.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت: محمد علي النجار، دط، دار الكتب المصرية، دت.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، ت: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، دت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت: خليل شحادة، ط1، دار الفكر، بيروت، 1988.
- الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ت: أحمد إبراهيم زهرة، دط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2004.
- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992.